

الفصل الثاني

مفهوم المنهج وتخطيطه

لقد تبدل المفهوم القديم للمنهج الذي كان يعنى مقررات دراسية معينة تفرضها المدرسة على تلاميذها ، وشاع اتجاه جديد لاستخدام لفظ « المنهج » بمعنى أكثر اتساعاً وشمولاً ، إذ أصبح يشير الى البرنامج المدرسي الكامل ، أو الحياة المدرسية للتلميذ . فالمنهج بمفهومه الحديث يتضمن كل خبرات التلميذ التي تنظمها المدرسة وتشرف عليها ، سواء اتخذت تلك الخبرات مكانها داخل جدران المدرسة أو خارجها ؛ وكان هذا التعديل في مفهوم المنهج أمراً طبيعياً بعد ما تطور الفكر الفلسفي التربوي والاجتماعي وتبدلت نظريات علم النفس التعليمي .

ونحن إذا نظرنا إلى ما تقوم به المدرسة من عمل نجده يتحدد بعاملين أساسيين ، يتمثل أحدهما في التلاميذ من حيث قدراتهم واستعداداتهم ويتمثل الثاني في مشكلات الحياة في المجتمع ، تلك المشكلات التي تنتظر حلاً لها حتى يسعد الأفراد بالحياة في مجتمعهم ، ولهذا فإن المنهج - بحق - هو الأداة التي يحقق التلاميذ بها ذواتهم ويستطيعون بفضلها أيضاً المساهمة في تطوير مجتمعهم .

والمنهج بالمعنى الواسع إذن لا يتمثل في المقررات الدراسية ، كما لا يتمثل في البرنامج المكتوب للمدرسة ، وذلك أن العلاقة بين المنهج والبرنامج المكتوب للمدرسة كالعلاقة بين الخبرة الفعلية التي يتضمنها القيام برحلة وخريطة الطريق ، فالمنهج يتمثل في خبرات التلاميذ أنفسهم ، كذلك فإن المنهج لا يتمثل في المواد الدراسية التي تقرر على التلميذ ، حقا إن اختيار مادة هامة نافعة ، وصحيحة مسئولية واضع المنهج ، لكن المادة لا تكون جزءاً من المنهج الا اذا أصبحت جانباً من خبرة التلميذ . ولهذا يختلف مقدار المحتوى الذي يصبح منهجاً لتلميذ ما ، عن ذلك الذي

يصبح منها لتلميذ آخر ، حيث أن الخبرات المدرسية التي يمر بها التلاميذ ليست متماثلة بالنسبة لهم جميعا ، فالوقوف التعلّمى الواحد يتضمن خبرات مختلفة باختلاف التلاميذ ، مما يترتب عليه اختلاف في النمو النفسى الناشئ عن هذا الموقف •

على أن المادة الدراسية لازالت تحتل مكانة هامة في المنهج بمفهومه الحديث وإن كان الاهتمام قد تحول من استظهارها الى تنمية مهارات التلميذ في الحصول عليها من مصادرها المختلفة ، وفهمها وتنظيمها ، مرتبطة بمشاكل حيوية بالنسبة له ؛ ولهذا فقد روعى في اختيارها مستوى التلاميذ الدارسين كما روعى الربط بين المواد الدراسية المختلفة • ولم يعد الكتاب المدرسى المصدر الوحيد للمعلومات ، كما لم تعد مهمة المدرس التلقين ، بل توجيه نشاط التلميذ التعليمى بحيث يحقق أكبر قدر من النمو المتنوع المرغوب فيه •

هذا ولما كانت خبرات التلاميذ المدرسية ، تتضمن أيضا علاقاته بمدرسيه وزملائه وادارة المدرسة ، كما تتضمن طرق التدريس وأساليبه التي يستخدمها مدرسه فإن كل هذه الجوانب تعتبر أجزاء من المنهج شأنها شأن المواد الدراسية التي يتعلمها والنشاط المدرسى الذى يشترك فيه •

والمنهج بمفهومه الحديث يعتبر المدرسة بيئة خاصة ، تمثل الحياة الحقيقية المتكاملة ، بصورة مبسطة منقحة ، تنمى لدى التلميذ أثناء حياته فيها مكونات السلوك المختلفة التى تثرى حياته ، وتمكنه من المساهمة في تطوير مجتمعه • لهذا كان المنهج الحديث وثيق الصلة بمشكلات الحياة ، وهمه الأول إعداد التلاميذ لمواجهة بنجاح • ورغم هذا فالنظر في المناهج المطبقة حاليا يظهر أن بعض جوانبها لا يفيد شيئا في هذا السبيل ، وأنه مستوى تمرينات عقلية لا صلة لها بمشكلات الحياة • بل إن المنهج الدراسى كثيرا ما يزدحم بتلك الجوانب حتى أنها لا تترك وقتا لقيام

المدرسة بوظيفتها الأساسية في معاونة التلاميذ على مجابهة مشكلات الحياة الشخصية والاجتماعية .

ونشأ التفكير الخاطيء في المنهج - عادة - من عدم الربط بين محتوى المنهج من ناحية ، وبين اهداف التربية ونمو الإنسانية من ناحية اخرى . فرغم قبول الأهداف الحديثة ، نجد الأوضاع القديمة أحيانا تائمة دون غرض ناقد لها لتعديلها . بحيث تحقق الأهداف المقبولة . وقد يحاول البعض تطبيق الاتجاهات الحديثة في المناهج دون فهم كامل لملاهيها مما ينجم عنه تطبيق خاطيء لها ، يسيء إليها ، حين يظهر عجزها عن تحقيق الهدف منها .

ولعل التفكير في المنهج باعتباره بيئة مختارة للتأثير في نمو سلوك التلاميذ خير هاد لاختيار المحتوى المناسب . فالمنهج ليس مجرد شيء يتعلمه التلميذ وليس مجرد اكتساب للتراث البشرى كما أنه لا قيمة له في ذاته ، بل هو وسيلة وليس غاية ، ويجب أن ينظر إليه بهذا الاعتبار لتجنب الأخطاء التي يقع فيها الكثيرون عند التفكير فيه .

والوقوف على هذه الحقيقة الأساسية الهامة ، يمكننا من فهم وتقدير مكان الإرشاد النفسى ، وبرامج النشاط المدرسى في التربية وتأثيرهما على النمو ، كما أن التفكير في المنهج بغير هذا المفهوم يؤدي إلى شحن برنامج المدرسة بمواد منهجية ضئيلة الأثر في تربية التلميذ ولصدق هذا المعيار الأساسى في الحكم على الصحة التربوية لكل أنواع المواد المنهجية كالرحلات والمناقشات والمطبوعات الخارجية وغيرها ، فكل خبرة من الكتب المدرسية أو خارجها ، من المواد الدراسية أو خارجها ، داخل جدران المدرسة أو خارجها تشرف عليها المدرسة ، وتهىء للتلميذ خبرة تربوية - أى خبرة ينتج عنها نمو مرغوب فيه - لها مكان مشروع في المنهج بقدر تأثيرها في تحقيق هذا النمو ولذا فان كافة جوانب النشاط المدرسى تعتبر جزء (م ٢ - النشاط المدرسى)

من المنهج وينبغى بناء على ذلك أن تخطط وتنفذ وتقوم في ضوء الفلسفة الأساسية التي توجه بقية أجزاء المنهج .

وتخطيط المنهج ، أى الدراسة المنتظمة للحياة المدرسية بغرض تحسينها في ضوء الأهداف التربوية الموضوعية ، قد تكشف عن سلامة ما يجرى بالمدرسة وحينذاك يحرص القائمون بتخطيط المنهج على استمراره ، وقد تتبين لهم الحاجة إلى تعديل بعض جوانبه وأساليبه ، وقد يرون أن اتباع الأساليب التربوية الحديثة تحقق أهدافهم بصورة أفضل من ذى قبل ، أو قد يرون العودة إلى اتباع أساليب سبق استخدامها في الماضى ، بعد ما تبين لهم في ضوء مقارنتها بالأساليب المستخدمة في الحاضر . أن الأساليب القديمة كانت أكثر فاعلية .

يتكون المنهج إذن ، بمفهومه الحديث ، من الأنشطة التعليمية التي تستخدمها المدرسة لتهيئة خبرات تعليمية للتلاميذ ، تحقق النتائج التعليمية المرغوب فيها . وتتضمن هذه الأنشطة الدراسة داخل الفصل ، وبرامج النشاط المدرسى ، وخدمات الإرشاد النفسى والاجتماعى والمشروعات المشتركة بين المدرسة والمجتمع المحلى . ورغم أن التوسع في تعريف المنهج لتشمل كافة الخبرات المدرسية يلقى شيئاً من المعارضة نظراً لصعوبة تحديد ما يتضمنه المنهج على ضوء هذا المفهوم إلا أن الفائدة التي تتحقق نتيجة لذلك كبيرة وهامة . ذلك أن جميع ما تقوم به المدرسة من أعمال سيخضع في هذه الحالة للتخطيط والتنفيذ في ظل الأهداف التربوية الموضوعية ، الأمر الذى يؤدي الى حذف كل ما لا يعين على تحقيق الأهداف التربوية ، وإضافة كل ما يفيد في هذا السبيل .

نخطيط المنهج وتطويره :

يلزم عند وضع المنهج البدء بتحديد الأهداف التي ترمو المدرسة تحقيقها وفي ضوء ذلك يمكن تخطيط المحتوى والطرق ومن ثم تخطيط التقييم الذى يبين مدى تحقيق الأهداف المرسومة ، على أن المنهج المدرسى كى يصبح

مناسبا لا بد أن يخضع للتطوير باستمرار وذلك نظرا للتغيرات التي تحدث باستمرار سواء تلك المتصلة بالحياة والمجتمع المحلي والعالمى أو تلك المتصلة بالفكر والمعرفة والتكنولوجيا ، أو بالمتعلمين أنفسهم . ويتضمن هذا المفهوم لتطوير المنهج معينين :

أولهما : أنه لا توجد نقطة بدء في هذه العملية .

وثانيهما : أنه عملية غير منتهية . على أنه لتيسر المناقشة لابد من تحديد نقطة البدء ، وتتابع معين لخطوات العملية وان لم يكن ذلك ضروريا في الموقف العملى . فالفهوم الحديث للتخطيط أو التطوير لم يعد ينظر إليه كسلسلة من الخطوات أو الأنشطة التي تتابع في نظام ثابت ، بل كأنشطة متلازمة ، فالعمل في كافة الجوانب يمكن أن يحدث في وقت واحد بالانتقال من نشاط إلى آخر ، أو العودة ثانية لما سبق وضعه لتعديله ، كما أنه لم يعد لعملية التخطيط نهاية فهي دراسة مستمرة نحو التطوير الفعال .

ويتفق المربون على أن التجديد التربوى أمر لا مناص منه ، ذلك أننا نعيش في مجتمع متغير حيث نكتشف جوانب جديدة من المعرفة التي تكشف عن خطأ بعض المعارف القديمة ولم يعد في إمكان أحد ولو كان من كبار الأخصائيين في ميدانه أن يحيط علما بكل شىء في تخصصه . وتعنى مشكلة الزيادة الهائلة في المعرفة أنه لابد من الدقة في اختيار ما ينبغي أن يتعلمه التلاميذ ، كما أنه لابد من إعادة النظر والبحث في كيفية حدوث التعلم بكفاية ، لذلك فإن التسليم بأن التلاميذ ينبغي أن يعدوا لمواجهة مطالب المجتمع التي تتغير بسرعة هائلة يوجب على المدرسة أن تعيد تقويم ما تقدمه لتلاميذها ، ثم إن وجود مدى واسع من الأهداف تسعى المدارس إلى تحقيقه يؤكد الحاجة إلى العناية بالتخطيط ، ضمانا لبلوغ الأهداف .

ومن الطبيعى في مجتمع متغير أن تتغير المدارس أيضا باعتبارها جزءا من هذا المجتمع ، فهناك تغييرات في بناء المدارس الحديثة ، وفي الاتجاهات بالنسبة للنظام ، والعلاقات بين المدرسين والتلاميذ ، كما ضعفت الحدود

من المواد الدراسية ، واستخدمت طرق تدريس متنوعة وأساليب حديثة
للإمتحانات ، كما حظيت المدارس بوفرة من المعينات السمعية والبصرية
والمواد التعليمية عموما .

وتخطيط المنهج يجب ألا يبدأ من فراغ ، إلا أن هناك عوامل ينبغي
أن تؤخذ في الاعتبار عند التخطيط ، وهي عوامل تتصل بالمدرسين وإعدادهم
التخصصي والتربوي ، والمجتمع والبيئة المحلية وما يسود فيهما من فكر
ومشكلات واتجاهات ونشاط بشري ، والتلاميذ واتجاهاتهم واهتماماتهم ،
والمبنى المدرسي من حيث إمكانياته وتجهيزه ، وأخيرا المناخ المدرسي وما
يسود العاملين في المدرسة من قيم واتجاهات وعلاقات . وهذا التحليل
للوضع القائم يجب أن يكون شاملا وعميقا عند التمهيد لتخطيط المنهج
إلا أنه قد يتكرر بشكل أقل عمقا خلال القيام بالتطوير ، وكذلك عند تنفيذ
المنهج الجديد - خاصة إذا كانت بعض العوامل قد تغيرت منذ بدء
التطوير وهو ما يحدث عادة إذا استغرق تخطيط المنهج وقتا طويلا - وأخيرا
عند البحث في الخطوات التي تتخذ نتيجة التقييم .

وتوضع أهداف المنهج في ضوء الأهداف العامة للتربية وبحيث تكون
شاملة لجوانب النمو المختلفة للإنسان . وفي ضوء أهداف المنهج يوضع
برنامج المدرسة الذي يحدد جوانب الخبرات في المدرسة فقد يتضمن
تعلما داخل الفصل ، ونشاطا دراسيا ، وخدمات إرشادية نفسية واجتماعية ،
ومشروعات للخدمات في المجتمع . ويتبع ذلك وضع دليل لكل جانب من
جوانب البرنامج المدرسي فمثلا بالنسبة للنشاط المدرسي يتضمن الدليل
أهداف النشاط المدرسي والمبادئ التربوية التي تحكم تخطيطه وتنفيذه
وتقويمه ، وأنواع النشاط والمواد والأدوات اللازمة لتطبيقه . وبعد وضع
الدليل تأتي خطوة توفير هذه المستلزمات تمهيدا للتنفيذ . وأخيرا يكون
التعليم والتعلم أى مرور التلاميذ بهذه الخبرات أملا في تحقيق الأهداف
التربوية . ويلاحظ أن الأهداف في هذه الرحلة تعاد صياغتها بحيث تأخذ

صورة سلوكية - ما أمكن ذلك • مما يعين على التخطيط للعمل اليومي داخل الفصل ، واجراء عملية التقويم •

ثم يأتى دور التقويم الختامى - حيث أن التقويم مستمر منذ بدء عملية التخطيط - بجانبه القياس والحكم على نتائج القياس • وقد يظهر التقويم أن الأهداف قد تحققت مما يشير إلى أنه فى الإمكان وضع أهداف أكثر طموحا ، أو يظهر التقويم أن الأهداف لم تتحقق مما يبرز الحاجة الى مراجعة أى من عناصر المنهج الأخرى كالأهداف أو المحتوى والطرق بل قد يلزم مراجعة خطوة التقويم نفسها وقد يكون الخطأ فى أدوات القياس المستخدمة أو فى طريقة تفسير نتائجه •